الشاعر جودت حيدر
«شكسبير العرب»

حمل لبنان ورائحة ترابه، عبر البحور إلى أطراف الأرض، فكان طائر الأرض وطائر البحر الغرّيد: غنّاهما، استوحى من الأول الوفاء ورحابة الصدر، والكرم والثبات في الموقف وقول الحق، ومن الثاني اغترف اللؤلؤ، تمرّس بالجزالة، وغرف من أصالته حتى الرويّ، فتوسّعت آفاقه وتعمّقت بحوره، وصفت، فأغناها واغتنى بها فحرّرته وما تزال.

«قليلون هم الذين يضاهون الشاعر باللغة الإنكليزية جودت حيدر، حكمة وشمول فكر، ورزانة وعذوبة حضور، فكأن الرجل، يكبر على ذاته، مع الأيام، ينضج، يتآلف مثل عنقود عنب زحلي، وهو يعي بعمق حقيقة يجهلها أو يتجاهلها معظمنا، وخلاصتها: إن حجم خسائرنا يتضاعف مع كل ساعة تفوت من أعمارنا».

مشوار العمر

ولد شاعرنا في ٢٣ نيسان من عام ١٩٠٥ في مدينة بعلبك، وهو من عائلة كبيرة تعود بجذورها إلى قبيلة بني أسد العربية في العراق.

في سن الثامنة ترك مدينته بعلبك، بعد وفاة والدته، والتحق بوالده وإخوته الذين كان قد نفاهم الأتراك إلى الأناضول، فعرف طعم النفي والاضطهاد وهو ما يزال في طور الطفولة.

وفي عام ١٩١٧ عاد من المنفى، حيث دفع به طموحه إلى متابعة الإنكليزية، فدخل في الصف الأول للعام الدراسي ١٩١٨ ـ١٩١٩ وتلقّى علوم الجبر والهندسة على يد العالم حسن كامل الصباح الذي ترك بنفسه أبلغ الأثر.

ثم انتقل إلى باريس للتخصّص في الهندسة الزراعية، ومنها سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية ليدرس الزراعة في إحدى جامعات تكساس عام ١٩٢٥. ومن الزراعة تحول إلى دراسة التربية والتعليم سنة ١٩٢٨. وإثر عودته إلى الوطن الأم، عمل مديراً للجامعة الوطنية في عاليه. ومنها انتقل إلى كلية النجاح في نابلس، بناء على دعوة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني. وفي عام ١٩٣١ عمل في شركة نفط العراق معاوناً لمدير التوظيف في طرابلس لبنان.

قسوة الحياة

كان الدهر قاسياً على شاعرنا، حيث خطف منه أقرب الأحباء، والدته، ووالده وأخواته، وزوجته وابنه الوحيد بسّام، وكان صبوراً على هذه المصائب المتلاحقة فقال:

«صبرت وشربت الصبر
وأنا صابر في حديقة الصبر
ومن أتاني يراني كالزمان
صابراً على صبري».

إستهواه الشعر وهو تلميذ في الجامعة الأميركية، وكان يلتقي بعض شعراء وأدباء ذلك العصر من أمثال معروف الرصافي وفوزي معلوف وماري عجمي. وأثناء وجوده في تكساس بدأ يكتب الشعر باللغة الإنكليزية. ومنذ العام ١٩٦٠ تفرّغ للشعر فترك الوظيفة في شركة النفط العراقية.

في أواخر عام ١٩٧٩، إتصل بدار نشر في نيويورك طالباً نشر أوّل ديوان له «أصوات»، وأبصر هذا الديوان النور عام ١٩٨٠، ثم صدر له ديوان «أصداء» عام ١٩٨٦، وتلاه ديوان ثالث «ظلال» عام ١٩٨٨. فقال الشاعر عمر أبو ريشه في شعر جودت حيدر: «قصائد جودت حيدر ذخيرة عطاء إبداعي نادر».

الشعر عند هذا الشاعر الكبير، يبدأ بلمعة وينتهي بعبرة. وفي ظلاله عودة إلى الشباب واحتفال بعهود مضت تركت بصماتها على تراب السليقة، إنها خبرة السنين، مخر خلالها عباب الإختبار وما زال ينقب ويبحث كي يغني حياتنا بلغته الإنكليزية الراقية المعبّرة، ويطلق أشرعته موسيقى خالدة متينة بأبعادها.. وسموّها.

وفي عام ١٩٩٥ أسس في البقاع تجمّعاً أدبياً يحمل إسم «واحة الأدب في البقاع».

مكانته

ملأ شاعرنا الدنيا، وشغل الناس، عاش حياته بكل مراميها وأبعادها وآفاقها. جاداً في أغلب الأحيان، مازحاً يوم يكون المزاج جميلاً، ويكون الحضور أصدقاء يعرف فيهم الصدق والإخلاص. وقال فيه الدكتور روحي البعلبكي:

«واحد من كوكبة متألقة من الشعراء والأدباء اللبنانيين، الذين ذاع صيتهم في البلاد الناطقة باللغة الإنكليزية من أمثال جبران ونعيمة والريحاني. كتب في جميع المواضيع فهذا الشعر الشامل إستحق عليه لقب شكسبير العرب، له رؤى ولغة تدعمها، ناضج الفكر متألق الصياغة...». والشعر لدى شاعرنا أسمى الغايات والأهداف:

«حبذا سلم نرقى به الشعر
إلى السماء
نخط على راية الدهر
أسماء أولئك الأبطال
من جعلوا جسومهم سلاحاً
ليموتوا
ليحيوا!!»